الحكمة في شعر الجواهري
دراســـــة أدبيـــــة

أ. م. د. علي محمد حسين الخالدي
جامعة الكوفة – كلية الآداب

المقدمة

من المعروف لدى المثقف العربي المعاصر آن الأستاذ محمد مهدي الجواهري هو أحد عباقرة الكلمة الشعرية وصاغة القافية العربية الكبار ملأ القرن العشرين نشيداً وتغريداً يحدو بركب القصيد نحو ذرى قصائده السواحر المخضبات بنجيع دمِ الشهداء والمضمخات بأريج مجد الثائرين وهو ثالث النهرين الخالدين في عراق الرافدين، فأنه نهرٌ من شعر يفيض على قلوب محبيه ومهج عاشقيه من متذوقي الشعر ونقاده ، إذ لم يترك الجواهري بقعة إلا وأضاءها بنور الموهبة، وسبر أغوارها يستجلي مكامن حسنها، وأسرار جمالها بلغة جدد أثوابها بذوق الشاعر وبصيرة الحكيم.

والجواهري في هذه الدراسة كما سنرى هو شاعر حكيم اترع كؤوس الضاد بحكم نادرة انبثت بين شرايين قصائده وعروق قوافيه واضحة مترفةً سلسة منسابة انسياب السكر في أحشاء ثمرات الخوخ او حبات العنب اليانع، ومع ذلك فإن الباحثين لم يتنبهوا على هذه الإشراقة المعرفية والفنية في شعره بما فيهم من درس الجواهري مثل الأستاذ عبد الكريم الدجيلي والأستاذ حسن العلوي والأستاذ جبرا، والدكتور علي عباس علوان، والدكتور عبد الحسين شعبان والدكتور زهدي محمد زهدي والدكتورة وسام الخالدي.. والعشرات من النقاد والكتاب في مقالاتهم التي جمعتها الدكتورة خيال الجواهري في كتاب ((مسيرة قرن))، ولعل انعدام الإشارة إلى ما في شعر الجواهري

من حكم أو القيام بدراسة متخصصة فيها إنما يأتي امتداداً للموقف النقدي العربي العام إزاء الحكمة الأدبية إذ لم تنل ما تستحق من عناية الباحثين وقد لا يتجاوز عدد الدراسات في الحكمة أصابع اليد، وهنالك دراستان في حكمة وادي الرافدين ودراسة واحدة في الحكمة الشعرية الجاهلية وفي العصر العباسي دراستان فقط هما: (الحكمة في شعر المتنبي) و(الموازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر المعري) أما العصر الحديث فلم نقرأ أو نسمع بمن كتب عن الحكمة الشعرية فيه على الرغم من كونه عصراً شهد ولادة شعراء حكمة كبار وهم: شوقي وحافظ وإيليا أبو ماضي وبدوي الجبل والشرقي والجواهري..

ومن هنا تتوضح أهمية هذه الدراسة وضرورتها وقد يضاف إلى ذلك مما يعد احد أسباب اختيار الحكمة في شعر الجواهري دون غيرها من مضامين شعره هو أن المثقف العربي ومنذ أكثر من ألف عام لا يعرف سوى حكم المتنبي وبعده المعري وكأن الحكمة ليس لها شاعر بعدهما. ولهذا قد آن الأوان أن يعلم هذا الجيل والأجيال القادمة بأن القرن العشرين شهد ولادة اكبر شعراء الحكمة في العصر الحديث هو الجواهري صنو المتنبي ووارث مجده الشعري إذ افعم كؤوس الضاد بالمئات من الحكم العبقة التي جعلته يقترب من المتنبي وقد يتفوق عليه في بعض الجوانب. وحكم الجواهري تناثرت في ديوانه بين الشطر أو البيت والبيتين أو الثلاثة أو الأربعة حتى أصبحت بعض القصائد محوراً للحكمة الجواهرية التي ما أحوجنا اليوم إليها لتكون زاداً روحياً لنفوس أتعبها الكفاح وقلوب أضناها العشق للحرية وبلسماً لجراحات لما تطبق أهدابها بعد.

وحين تأملت تلك الحكم وجدتها بين أنماط ثلاثة درستُ ضمن النمط الأول الحكمة السياسية التي أخذت المساحة الأوسع في ديوان الجواهري وانطوت على دلالة الرفض للظلم والذل والاستبداد والتنديد بالحاكمين الظالمين والسخرية بالطغاة وتدعو للحرية والعدل والعيش الآمن للناس، أما النمط الثاني: فكان يدور حول الحكمة الأدبية الفنية التي أرسلها الجواهري فكان الشاعر والشعر والشعراء والمدينة والمرأة محاور لها

ثم وقفت عند عالم الجواهري النفسي وما يكتنفه من تأزم وألم وقلق وغضب وأمل وحزن ووداعة وصخب وأحلام وكان ذلك فيما أسميته الحكمة النفسية والعاطفية وهو النمط الثالث من أنماط الحكمة ثم ختمت الدراسة بخلاصة لأهم النتائج مع قائمة المصادر مفهرسة، ومن المفيد أن انوه إلى أن حكم الجواهري وغيره من شعراء الحكمة لا بد أن تأتي منبثة بين أغراض الشعر المعروفة فنجدها منسابة في المديح والفخر والغزل والهجاء والوصف وبهذا لا معنى لمن يقول إن هذا فخر وهذا مديح ولا صلة للحكمة به، وكأن الحكمة تقتصر على غرض مستقل وهذا مخالف لما اعتدنا قراءته والتقاطه من حكم متفرقة في قصائد الشعراء ذات الأغراض التقليدية، ولعل قول المتنبي الحكيم أفضل ما أقوله لمن لا يفهم ما يقال أو يكتب في هذا الأفق النقدي:

فكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

عصر الجواهري وحكمته الشعرية

قبل أكثر من ألف عام وضعت ربة الشعر العربي حملها الشعري الأول في الكوفة وكان وليدها (المتنبي) مالئ الدنيا وشاغل الناس وبعد عشرة قرون جاءها الطلق ثانية وألقت بحملها الشعري الثاني في النجف هذه المرة وكان (الجواهري) مزاحم النجوم وكلاهما كوفي عراقي [١].

والجواهري هو محمد مهدي بن عبد الحسين بن عبد العلي بن محمد حسن صاحب الجواهر، أمه فاطمة بنت الشيخ شريف كاشف الغطاء لقب بالجواهري نسبة الى كتاب جده (جواهر الكلام)، ولد شاعرنا في 26/ تموز/ 1900 على الأرجح في مدينة النجف وقد نشأ في بيت فقه وأدب كريم وكان الابن الثالث من بين أبناء الشيخ عبد الحسين الخمسة وهم: عبد العزيز، وعبد الهادي، علي، وجعفر شهيد الجسر وله أخت واحدة (نبيهة)، وبهذا فهو واسطة عقد الاخوة، تزوج في 1929 من ابنة عمه مناهل وبعد وفاتها تزوج بأختها امونة 1937 التي وافاها الأجل في 1994 وله زوجتان لم يكن لهما اثرٌ في حياته ولا في شعره هما نعيمة (عراقية) ورمزية (لبنانية).

وله من مناهل وأمونة: فرات، وفلاح، وكفاح، ونجاح، وخيال، وظلال وله لطيفة ورامونة قد توفيتا في سن مبكرة وحزن عليهما حزناً شديداً[٢].

أما تعليمه فقد تعلم القراءة والكتابة وهو لم يتجاوز الخامسة من عمره على يد اخيه المتنور عبد العزيز ثم على يد (الملة ام جاسم)، وبعدها في الكتاتيب لدى ما يسمى (جناب عالي) الذي ترك أثرا سلبياً في نفس الصبي مهدي ثم تتلمذ على يد شيوخ كبار في مدينة النجف فدرس النحو والبلاغة والتأريخ والأدب فضلاً عن حفظه القرآن وخطباً من نهج البلاغة ونماذج من فنون الأدب العالي[٣].

وكان الجواهري مشغوفاً بالشعر والشعراء وكأنه خلق كي يكون شاعراً فحفظ المئات من عيون الشعر العربي وتميز بقدرة نادرة على الحفظ وكلما تقدم العمر ترسخت قدمه في ارض عبقر واخذ يقترب من عالم الشعر والشعراء وخيالات الكلمة الشاعرة ويبتعد رويداً رويداً عن مجالس الفقهاء التي يأخذه والده إليها بلا رغبة منه.

نشر أول قصيدة له علم 1920 (الشاعر المقبور) ومنها ظلت مزنة الشعر تنهمر بغيثها على حقول القرن العشرين وساحاته هذا القرن الذي عاشه الجواهري بكل أحداثه واضطراباته وتناقضاته ومفارقاته، وكان الجواهري شخصية فاعلة في كثير من تلك الأحداث. شهد نهاية الاحتلال العثماني وبداية الاحتلال البريطاني وانتدابه وكان على تماس مع ثورة العشرين ضد ذلك الاحتلال وعاصر في شبابه تأسيس الحكم الوطني وإقامة المملكة العراقية الهاشمية التي كانت إحدى صنائع البريطانيين مما ولد انتفاضات فوثبات وطنية ضد المملكة والأحلاف والمعاهدات الاستعمارية التي أقدمت عليها كحلف بغداد ومعاهدة بورتسموث، والجواهري عاصر الانقلابات السياسية 14/ تموز/ 1958، وانقلاب شباط الأسود 1963 ونكسة حزيران 1967، وانقلاب 17/ تموز 1968، والحرب ضد جمهورية إيران الإسلامية التي دامت ثماني سنوات، وغزو الجارة الشقيقة الكويت 1990، وعلى الصعيد العالمي شهد حربين عالميتين الاولى والثانية ونتائجهما وقد وثق تلك الأحداث في شعره السياسي برؤية وطنية تحررية والجواهري شاعر رحالة جواب مدن ومنافٍ غادر النجف إلى بغداد 1927 وفيها

أخذت موجات القه الشعري تتسع لتبهر العقول والقلوب وتلامس أذواق الأدباء والمثقفين بموهبته الفذة. دخل البلاط الملكي ومدح الملوك وبعض الساسة ومجد الشهداء وأنشد للمتظاهرين وانتصر للفقراء وغنى للحرية والوطن وللحب والحياة طوال قرن كامل، وفي 27/ تموز 1997 استراح الشاعر العظيم من مكابدة الحرف وعناء الكبرياء طيب ثرى الشام إلى جوار السيدة زينب (ع) بعيداً عن الوطن الذي هام به وعشقه حد الجنون حتى بلغ به الهوس ليقول: (فضر من بلادي لا يضرُ).

لقد تجوهر العراق بالجواهري وتعرق الجواهري بالعراق عبر أكثر من (400) قصيدة في أكثر من (35) ألف بيت من الشعر المنشور خلال ((عشرة عقود من الزمان عشرة عقود من الجمان عشرة عقود من القلائد والأساور والعقود عشرة عقود من القيود وعشرة عقود من القوافي والجواهري يحدو بالقصيد حتى قال: (أكلت القوافي لساني) يستنهض الشعب ويسخر بالطغاة عشرة عقود والجواهري يمشي على الجمر والشوك والأدغال يغرس النجوم ويترع الكؤوس ويصوغ اللآليء)) [٤] مـــن الحكم التي تنبض بين جوانح محارها المودع فـــي ديوانه. وهي موضوع هذه الدراسة.

2. الحكمة بين اللغويين والأدباء

لو تتبعنا المعنى الوضعي لـ (ح، ك، م) في أول معجم عربي [٥]لوجدناه مأخوذاً من جذرها حُكُمْ) التي تعني العدل والعلم والحلم فقد جاء في العين (الحكمة مرجعها إلى العدل والعلم والحلم ويقال أحكمته التجارب إذا كان حَكماً وأحكم فلان عن كذا، أي منعه، والاسم الأحكومة والحكومة) وجاء معنى المنع في قولهم (حكَمْهُ اللجام) وهم ما يحاط بحنك الفرس لتمنعه من الجري واستند أهل اللغة لتأكيد هذا المعنى إلى قول جرير:

أبنى حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا

وعلى منوال العين نسج ابن دريد (321هـ) [٦] وارتقى بهذا المعنى لتعني الفهم والإدراك وإصابة الحق بالعلم والعقل وهذا هو معناها الاصطلاحي أو الأدبي ومن المفيد أن نقول إن مفردة (ح، ك، م) هي من المفردات المشتركة بين الساميات وان جاءت في العبرية والسريانية والآرامية بتغيير بسيط هو استبدال الـ (ح) بـ (هـ) فالحكمة في العربية (هكماه) في العبرية مما يؤكد قدم هذه اللفظة وأصالتها في التراث اللغوي العربي [٧] وفي عصر القرآن أخذت هذه اللفظة مساراً جديداً اتسعت فيه دلالاتها لتعني (الموعظة) و(الفهم والعلم) و(القرآن وتفسيره) وقد وردت في القرآن الكريم في عشرين موضعاً وبصيغة (حكمة) المختومة بالتاء[٨] .

وعليه فإن (الحكمة) قد خرجت من أسوار المعجم أو المعنى الوضعي الاول لدى اللغويين لتقوم بوظائف جديدة لدى الأدباء شعراء وكتاباً فضلاً عن استعمالها الاصطلاحي في القرآن الكريم، والقرآن اثري مضمونها الأدبي حتى أصبحت معياراً لخصوبة الذهن وارتقاء الفكر وثرائه لدي الحكيم من الأدباء والفنانين والفلاسفة والساسة.

إذ إن الشاعر الحكيم يتميز عن سواه من الشعراء بسرعة البديهية والتقاء الومضة النادرة ورصد اللحظات المترعة بالخواطر والمشاعر التي يحركها الكون بجمالياته

ومفارقاته وتجارب الناس فيه عبر الأجيال في مجال السياسة والحب والأدب والحياة. وبهذا فقد جاز لي ان اقول ان الجواهري كان شاعراً حكيماً استطاع أن يصوغ إشكالات عصره وملامح حياة شعبه العراقي والعربي عبر المئات من أبيات الحكمة التي توزعت او تبلورت في ثلاثة أنماط هي الحكمة والسياسية والأدبية والنفسية.

والجواهري في هذا المنحى الشعري المائز قد اتكأ على تراث عراقي وعربي ثر من الحكمة.. سواء في العراق القديم أو في العصور العربية والإسلامية اللاحقة ومن أشهر شعراء الحكمة في تلك العصور طرفة بن العبد وزهير بن ابي سلمى، وزيد بن عدي، وعروة بن الورد، والشنفرى في العصر الجاهلي، وفي العصر الإسلامي الأول لم يكن للحكمة الشعرية مساحة واضحة ماخلا حكم متناثرة لدى شعراء ذلك العصر كأبي طالب، وحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وفي العصر الأموي كانت الحكمة الغزلية لدى العذريين كجميل وكثير وذو الرمة وعمر بن ابي ربيعة الذي كان الأقرب إلى الصراحة في غزله.. ثم جاء عصر الازدهار والثقافة والترجمة لتأخذ الحكمة افقها الرحب لدى بشار وأبي نواس ومسلم بن الوليد وأبي تمام والمتنبي والمعري والبحتري والشريف الرضي ومهيار الديلمي.. وغيرهما ثم العصر الوسيط فيأتي البوصيري وصفي الدين الحلي.

حتى يطل علينا العصر الحديث وإذا بالحكمة تتغلغل في أشعار البارودي وحافظ إبراهيم وشوقي وبدوي الجبل وأبي القاسم الشابي وإيليا أبي ماضي وعلي محمود طه والجواهري. ومن الغريب أن الباحثين قد نأوا بأنفسهم عن البحث في الحكمة الشعرية في مظانها لدى الشعراء ما خلا دراسات قليلة لا تناسب أهمية الحكمة وموضوعها الجدير بالدراسة. وإذا كانت حكم شعراء العصور السابقة استجابة لمتطلبات عصورهم ومستوى ثقافاتهم وطبيعة تجاربهم الشخصية فإن الحكمة في العصر الحديث جاءت لتعبر عن روح العصر وتؤشر ملامح تطوره السياسي والثقافي والفكري والاجتماعي والاقتصادي والوجداني وهذا ما نهض به شاعر العرب الأكبر الأستاذ محمد مهدي الجواهري متنبي هذا العصر وإذا كان المتنبي قد قال ذات يوم:

وما الدهر إلا من رواة قلائدي اذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا (٩)

فان صنوه الجواهري قد قال في المعنى ذاته:

كذبوا فملُ فم الزمان قصائدي أبداً تجوب مشارقاً ومغاربا (١٠)

فالمتنبي والجواهري عراقيان كوفيان حكيمان زاحما النجوم وجددا أثواب اللغة العربية وكانا دليلاً على عبقريتها النادرة وجمالها الآسر المودع بين حدقات الحرف وعيون القوافي ((الزاهيات المطالع)).

الحكمة السياسية الاجتماعية:

الجواهري هو شاعر السياسة الأول في العراق والوطن العربي خلال القرن العشرين (١١)، وكان على صلة مباشرة بأحداث عصره السياسية والاجتماعية وقد وجدت تلك الأحداث صدى في أشعاره المبكرة فهو قد عاش أجواء ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني حينما كان في معقل الثورة مدينة النجف فقد حيا الثورة ومجد شهداءها –على الرغم مما انتهت اليه– بأكثر من قصيدة وحين غادر النجف إلى العاصمة بغداد كان ذلك انعطافاً حقيقياً في انطلاقاته الشعرية وانفتاح عقله على بيئة متحررة وفرت له فرصة اللقاء بالنخبة العراقية التقدمية المثقفة كذلك هيأت له ان يكون احد الموظفين في البلاط الملكي وكلما ذاع صيته وأخذ من أسباب الشهرة كثر حساده وخصومه ومن أشهر خصوماته تلك التي كانت مع المستعرب (ساطع الحصري) الخصومة التي جاءت به إلى البلاط حيث امتدت يد الملك فيصل الأول البيضاء له، وبذلك أصبح قريباً من مركز القرار السياسي وصناعته.. التقى الجواهري في بغداد بالماركسيين مما اثر في تبلور وعيه الوطني التحرري المعادي للاستعمار والميل لتبني مطالب الطبقات الفقيرة والمحرومة من العراقيين.. ولهذا ساند الانتفاضات وطالب بالحرية والعدالة ودعا إلى التمرد والتقحم ورفض الظلم والذل والاستعبا د

بقصائد ملهبات خالدات انتظمت فيها فصوص الحكمة الجواهرية السياسية التي اكتسبت عمقها وجمالها من ثقافة الشاعر الحرة وموهبته الشعرية الفذة. ومن بواكير حكم الجواهري في هذا الأفق المشحون بالرفض للظلم قوله مخاطباً (يراع الحر)[١٢]:

كلنا يدري الذي تلقى ..كفياك مقالا لم تطل دولة هذا الظلم إلا أن تدالا

ففي هذه الحكمة الشعرية طمأنة للأحرار على ان عمر الدولة الظالمة قصير وان طال وكانه استوحى ما يردده المشتغلون بالفلسفة وعلم الكلام (دوام الحال من المحال) فالشاعر اراد ان يرسخ هذه الحقيقة في أذهان المظلومين والظالمين معاً.

أما في قوله مخاطباً حافظاً وشوقياً فقد أرسل الحكمة في بيتين [١٣]:

لكما شكا ظلم العراق وذلةٌ أن يشتكي ظلم العراق عراقي

أهدى سواي نفيسة وأنا الذي أهدي إليه نفائس الاعلاق

من الواضح أن الحكمة السياسية المبكرة للجواهري كانت تقرن بالشكوى وإن عد الشكوى من بلاده ذلاً.. والجواهري ذو النفس الأنوف اختار نهجاً يفيض إباء وينأى بتلك النفس عن مذلة الشكوى.. فأعلن معارضته الصريحة للظلم والظالمين وقد اتخذ الإمام الحسين رمزاً للتقحم والثورة والفداء والإباء وذلك في أول قصيدة ذات طابع سياسي ((تراثي)) تأريخي وهي قصيدة (عاشوراء) التي رصعها بعدد من حكمه السياسية منها وفي مطلعها:

قوله[١٤]:

هي النفس تأبى ان تذل وتقهرا ترى الموت من صبرٍ على الذل ايسرا

وقوله[١٥]:

تسامي سمو النجم يأبى لنفسه على رغبة الأدنين ان تتحدرا

وظل الإمام الحسين الثائر الآبي مستقراً في مخيلة الجواهري وعقله يهز وجدانه أو انه كلما (تدجُ داجية يلمع).. وبعد اثنتي عشرة سنة من (عاشوراء) 1935 أي في 1947 انثالت على الجواهر التماعات قصيدة (آمنت بالحسين) وهي بمجملها تدخل رحاب الحكمة الشعرية.. وفيها استكملت صورة الإمام الحسين بوصفه رمزاً وبطلاً يفتقر إليه الواقع العراقي والعربي الداجي ويبحث عنه ولهذا خاطبه الجواهري[١٦]:

وجملة (لم يشفع) لم تأت اعتباطاً فقد كانت نتيجة منطقية لجملتين متشابهتين تنطقان بقيم إنسانية فريدة وهي الثبات والإباء ورباطة الجأش عندما يلتهب الحمى في ساحة الردى والبطل من (لم يضرع) والبطل من (لم يخشع) ذلكم كان هو الحسين. ومن هذا الباب الصعب دخل الجواهري عالم أبي الأحرار الفسيح وآمن به وبقضيته والحزن عليه ذلك الحزن الجواهري الجديد الذي ارتفع به عن الحزن الإنساني المألوف البسيط الى حزن الثوار المتمثل بالسير على نهج الحسين النير المهيع.. نحن الآن لسنا بصدد تحليل هذه القصيدة وإنما الوقوف عند الحكم السياسة التي فاضت بها.. ودلالة تلك الحكم[١٧]:

وحزناً عليك بحبس النفوس على نهجك النير المهيع

ان قصيدة (آمنت بالحسين) توشحت بحكم شعرية تحمل قيماً نضالية وفكرية مخالفة لما هو سائد من وعي بدائي مستكين وفهم ساذج لقضية الحسين والحقائق التي أفرزتها.. ومن تلك الحقائق ان وقفة الحسين بوجه الظالمين مسترخصاً روحه وأرواح من معه من أنصاره وعياله إنما تؤكد بلا جدال بأن الظلم لا بد ان يواجه وإن سلطة الظالمين لا بد أن يطاح بها.. وهذا الأمر له رجاله الثوار والشجعان الذين يقدمون أرواحهم فداء لحرية البشر وكرامتهم الإنسانية، والجواهري بلور تلك الحقيقة

وعبر عنها شعرياً وقدمها بأسلوب حكمي وقور يناسب مقام سيد الشهداء الإمام الحسين (ع).

وإذا كان الجواهري قد وجد في الحسين طريقاً للخلاص بوصفه المنهل الأقرب إليه فإنه لم يغفل (السيد المسيح وهو رمز العذاب والفداء) والمخلص للبشرية في الديانة المسيحية وهذا أول ظهور للمسيح في الشعر الحديث كما يرى د. سليمان جبران(١٨).

لثورة الفكر تأريخٌ يحدثنا بأن ألف مسيح دونها صلبا (١٩)

وقد استحضر الجواهري من هذه الحكمة مواقف المواجهة مع السلطة وعسفها الذي يصل الى حد تصفية خصومها بذرائع مختلفة شتى وفي التأريخ العربي الإسلامي أمثلة كثيرة وربما واقعة الطف إحدى الأمثلة المفزعة على جرائم السلطة الأموية وعنفها، ومن الغريب إن جبرا إبراهيم جبرا قد تغافل عن ذكر الإمام الحسين من خلال قصيدة الجواهري (آمنت بالحسين) بوصفها قصيدة سياسية موجهة ضد ((الحاكم والمدينة)) وهما موضوع دراسته في (الجوهر والنار) (٢٠).

ويظل الحسين يتوهج في شعر الجواهري الرافض للظلم والمواجهة للطغاة في اشعاره اللاحقة مثلما في قوله الحكيم مخاطباً عبد الحميد كرامي(٢١):

باقٍ وأعمار الطغاة قصارُ من سفر مجدك عاطر موارُ
تتجاوب الأصداء نفح عبيره لطفٌ ونفح شذاته اعصارُ
جانبت مزلقة الطغاة وإنها بالورد تفرش وبالنضار تُنارُ

ولم يفصل الجواهري نضاله ضد الطغيان عن كفاحه ضد الاستعمار وقد جمعهما قوله:

تنهى وتأمر ما تشاءُ عصابةٌ ينهي ويأمر فوقها استعمارُ (٢٢)

مضمون الحكمة واضح فهو مستل من صميم حياة العراق السياسية وأحوال شعبه وكفاحه حتى وصل الأمر به إلى أن يقول(٢٣):

وأنا لسان الشعب كل بلية تاتيه أحمل ثقلها وأصور
واذا تفطر من فؤادي جانب حدبت عليَّ قلوبه تتفطرُ

وتتوالى حكم الجواهري وتزداد عمقاً وحنكة حتى أصبحت بعض القصائد ذات طابع حكمي واضح بعد إن كانت أبياتا متفرقة أو أشطارا ومن قصائده الحكيمة كانت (نامي جياع الشعب) وهي قصيدة سياسية في غاياتها ساخرة في أسلوبها تنتظم الحكمة فيها بسلك يشدها من المطلع حتى الختام(٢٤):

نامي جياع الشعب نامي حرستك آلهة الطعام
نامي فإن لم تشبعي من بقظه فمن المنام
نامي على زبد الوعود يداف في عسل الكلام

قصيدة تنطق حكمها بالرفض لحالة الخنوع والهوان الذي يعيشه الناس فهي محاولة لاستنهاضهم وبوسيلة هازئة اذ وجد الشاعر ان الكلام الجاد قد لا يجدي مع الخانعين!!

وفي قصيدة (سلام ...) واصل الجواهري نهج الرفض والمواجهة عبر وسيلة جديدة تقوم على تمجيد الثوار والشهداء وإعلاء قيم الفداء من اجل المثل العليا في الحياة والغد الأفضل للشعب(٢٥):

سلام على جاعلين الحقوق جسراً الى الموكب العابرِ
سلام على مثقل بالحديد ويشمخ كالقائد الظافر
كأن القيود على معصميه مفاتيح مستقبل زاهرٍ
سلام على غاصب ما يريد من فم مستذئب كاسرِ

ولم يكن ((المستذئب الكاسر)) إلا الحاكم المستبد العنيد الذي يسلب حقوق الشعب ويصادر حريته، وما ((الغاصب)) إلا ذلك الفادي المغوار الذي يدفع حياته ثمناً لتحقيق مبادئه في الحق والكرامة والعدالة بين البشر. وقد ارتقى الجواهري بلفظة (الغاصب) حين أخرجها من بين أسوار معناها المعجمي المعروف وادخلها رحاب المعنى الشعري الجديد حتى غدت وكأن لا صلة لها بذياك المعنى القديم او بجذرها اللغوي (غ، ص، ب) التي حولت ضمن نسيج البيت من معنى (الغصب أو الاغتصاب) وهو مذموم إلى معنى ذي دلالة محمودة تعني التحرير والحرية وانتزاع الحق بالقوة من غاصبيه الحقيقيين (الطغاة). أما قصيدة (أخي جعفر) فهي عقد شعري حكيم من خلاله نكاد نرى فيها شرارات الغضب الجواهري واحمرار عينه وغليان صدره بالحنق على قتلة جعفر مع الدعوة الصريحة للتمرد والاقتصاص منهم[٢٦]. لقد افتتح الجواهري مرثاته السياسية الآسية بسؤال إنكاري موجه في ظاهره إلى أخيه الشهيد وفي باطنه إلى الجناة من شرطة صالح جبر، (أتعلم). فجعفر لم يكن سوى الجسر الفني ((الواقعي)) الذي من خلاله عبر الجواهري عن رؤاه وحالة غضبه وموقفه من فعل القتلة في بغداد[٢٧]:

أتعلم أم أنت لا تعلم — بأن جراح الضحايا فمُ
فم ليس كالمدعي قولةً — وليس كآخر يسترحمُ
أتعلم أن رقاب الطغاة — أثقلها الغنم والمأثم
أتعلم أن جراح الشهيد — ستظل عن الثأر تستفهمُ

ولم يكتف الجواهري بهذا السؤال فقد راح يخاطب الشعب ولاسيما الخانع للضيم فيه بهذه الحكم الملتهبة والمحرضة[٢٨]:

فقل للمقيم على ذلهِ — هجيناً يسخر أو يلجمُ

تقحم لعنت أزيز الرصاص وجرب من الحظ ما يُقسمُ
فإما إلى حيث تبدو الحياة لعينك مكرمة تغنمُ
وإما إلى جدث لم يكن ليفضله بيتكَ المظلمُ
تقحم لعنت فما ترتجي من العيش عن وردة تحرمُ
أأوجع من انكَ المزدرى أأ اقتل من انك المعدمُ
تقحم لعنت فمن ذا يخوض المنون اذا عافها الانكد الاشأم

من الواضح ان الجواهري قد انعطف بخطابه من الاستفهام (أتعلم) إلى الأمر (تقحمْ) وإذا كانت جملة (أتعلم) يتقاسمها جعفر وقتلته فإن (تقحم) جملة أمر خصَّ بها المحرومين والمظلومين من العراقيين وقد نلمح في أثناء هذه الميمية المتأججة عناية الجواهري بمفردة (الدم) التي تسربت إلى حرم قصائده قطرة قطرة من يد الحسين الحمراء (المقطوعة الإصبع) في الطف حتى بقع الدم في شوارع بغداد وفي قصائد الشهداء كقوله في (اخي جعفر) [٢٩]:

سنبقى طويلاً نجرُّ الدماء ولم يبردَ الدمَ إلا الدمُ

وإذا كانت الحكمة (بمثابة المحصلة او النقطة التي تتجمع فيها أشعة الضوء فتزداد توهجاً وحرارة) [٣٠] (2) فإن حكمة الدم الجواهري تبرز أمامنا كأفضل مثال على ذلك.. إذ أن الشاعر قد اشبع هذه المفردة بألوان متعددة من الدلالات التي فاضت بها سياقاتها وكلها مستوحاة من تجاريه الدامية دم الإمام الحسين ودم المسيح ودم جعفر وكل ضحايا الرأي والفكر والحرية الحقيقية (اذ لا يمكن أن تضع الحكمة بمعزل علن التجربة الإنسانية لأنها خلاصة للتجارب الإنسانية) [٣١] ومن هذا الإطار جاءت قصيدته الدامية ((خلي الدم الغالي يسيلُ)) وهي من قصائد الحكمة الشوامخ منها قوله[٣٢]:

خلي الدم الغالي يسيلُ ان المسيل هو القتيلُ

هذا الدم المطلول يختصر الطريق به الطويلُ
خلي الدم الغالي يسيلُ ضوءاً ينار به السبيلُ
عُذراً يقوم على الطغاة السافحين به الدليلُ
هذا الدم الغالي غريمٌ للمحب له عذولُ
يقلي الضنين به، و يعشق من يُذيلُ
هذا السحاب الجون يستسقى به البلد المحيلُ
إن لم تصولوا للذياد عن الحياة فمن يصولُ
خوضوا دم المستعمرين فطالما خيضت وحولُ

لقد نسج الجواهري حكمه تلك على منوال المفارقة الشعرية التي انطوت على الدعوة لإرخاص ما هو غالٍ.. وليس هناك أغلى من الدم. فأنه سر الحياة وقوتها وعلى نفاسته فالجواهري يدعو الأباة والفداة أن يهدروه... وبهذا منح الشاعر لفظة الدم ثوباً طاهراً وكتب لها تأريخاً جديداً لم تألفه من قبل.. وتابع الجواهري تلك الصياغة المضمونية والفنية لهذه المفردة العبقة باريج الدم الزاكي في قصيدة (موطن الابطال) بقوله[٣٣]:

نفسي فداءُ عبقري ثائر يهبُ الحياة كأنه لا يفهمُ

من الطبيعي انه يفهم بأن حياته غالية وانه يهبها بلا تردد متجاهلاً ان نهاية من يختار طريق الكفاح هو الموت.. ولعل تجاهله هذا كان احد اسرار عبقريته.. وفي (الوتري) قوله[٣٤]:

غادى الحيا تللك القبور وان غدت بالناضحات من الدماء عواشباً
والجسر يفخر ان فوق اديمه جثث الضحايا قد تركن مساحباً
غرف الجنان تضوعت جنباتها بصديد هاتيك الجراح لواهبا

وبعد هذا كله يأتي الجواهري ليفرغ كل شحنات طاقته الشعرية ويصوغ حكمه السياسية المصطبغة بلون الأرجوان في قصيدته (الدم والفداء) [٣٥]:

جل الفداء وجل الدم صاحُبه ضاق الفضاء وما ضاقت مذاهبه
وبورك الدربُ مسحوراً يتيه به نكسٌ ويحتضن الصنديد لا حبه
درب الخلود بليلإت لوافحه على الفداة وجنات سباسبهُ

ويخاطب بطل القصيدة الفدائي الفلسطيني (صبحي ياسين):

سنى الصبح جبينٌ انت عافره ومطلع الشمس دربٌ انت راكبه
لم يبق الا الدم الوهاج تنضحهُ على ظلامك كي تجلى غياهبهُ

والجواهري يحرض على التمرد ورفض الذل وحمل النفس على مواجهة الردى[٣٦]:

ذق من (خوان) الردى تسمنك واقحَمْهُ تعصمك من ذُلٍّ أطايبه
عزتهُ غيضاً على ناشدٍ حقاً يجانبهُ
ولا تُروّعْ بسيماه فان به

ثم يلتفت إلى الطواغيت ويسألهم بقوله[٣٧]:

سل الطواغيت هل من غالب اشر إلا وهذا الدم المغلوب غالبهُ
يهتز بالجرح تلوالجرح يحمله كالسيف يعتز اذا فلت مضاربهُ
يا واهب المجد اعراقاً يفصدها اغلى من المجد كنز انت واهبهُ

هذا نمط من الشعر ليس من اليسير العثور عليه لدى شاعر غير الجواهري ذلك لان الجواهري دون غيره قد غمس سن يراعه بنجيع دمه وأرهف السمع لوقع النصال على أهداب جراح العراق المضمخات بعبير الكفاح من اجل الحرية ويومها المنشود الذي قال عنه[٣٨]:

ما ابعد اليوم عن غِرٍ يجانبُهُ وأقرب الغدَ من واع يواثبُهُ

غير أن المواثبة والإصرار على السير في درب المواجهة يؤديان إلى ما لقيه الجواهري من الم فقال[٣٩]:

أسل النصل عن جرح نزيفٍ فألفى تحت حفرته نصالاً

فلا النصال ولا نزف الجراح كانت قادرة على إبعاد الجواهري عن مشاركة الشعب العراقي آلامه وأيامه العصيبة حتى صرخ[٤٠]:

إنا صورة الألم الذبيح أصوغه كلماً عن القلب الجريح يترجم
ولربّ آهات حيارى شُرّدٍ راحت على فم شاعر تتنظمُ

لقد طفحت هذه الميمية (الكردستانية) بألوان الحكمة السياسية حيث تفجرت حكمه إصرارا وتحريضاً وتعريضاً وتفاؤلاً بغدٍ أفضل ولم تكن المفردة الأرجوانية بعيدة.. فهي حاضرة في قوله:

سر في جهادك فالجهاد مفازة يهدي الضليل بها وينجده الدمُ
وأدفع به دية المكارم برةً ان المكارم بالمكاره تغنمُ
وصل الكفاح غدوهُ برواحهِ كل المواسم للمكافح موسم
ثبت على وقد الوغى وجحيمهِ قدماً إذا برد الثرى تتألمُ
وتحد أظفار الطغاة فأنها ابداً كأظفار الوحوش تقلمُ
من بعد ألف من سلالة ظالمٍ من قبل ألف يثأر المتظلمُ

عنقود من فصوص الحكم أو(حباتها) اتسقت لتحمل معاني الكفاح ضد الظالمين. وقد انحاز الجواهري الى ضحايا الاستبداد (فليس في معجمه الشعري او موقفه السياسي حياد[٤١]:

وأذل خلق الله في بلدٍ طغت فيه الرزايا من يكون محايدا

وتأكيدا لهذا النهج وضع الجواهري الأحرار أمام إشكالية محرجة هي[٤٢]:

خطان ما افترقا فأما خطةٌ يلقى الكمىُّ بها الطغاةَ مُناصبا
الجوع يرصدها.. وإما خطةٌ تجتر منها طاعماً أو كاسباً

ومن هذا المنطلق شن الجواهري هجماته العنيفة على الطغاة والمستعمرين وعملائهم رافضاً سياستهم ومعاهداتهم ومغرياتهم، يحرض الشعب على البوح ورفع الصوت بوجه الحاكمين الظالمين نابذاً السكوت القاتل للأحرار[٤٣]:

سكتُ وصدري تغلى فيه مراجلٌ وبعض سكوت المرءِ للمرءِ قاتلُ

وإن احياناً يلوذ بالصمت وسيلة للخطاب[٤٤]:

سكتٌ مخاطباً اذ لم أجد من يستحق صدى الشكاة مُخاطبا

وحين وجد من يستحق المخاطبة خاطبه[٤٥]:

ايهٍ عميد الدار كلُّ لئيمةٍ لا بد واجدةٌ لئيماً صاحبا
ولكل فاحشة (المتاع) دميمةٍ سوق تُتيح لها دميماً راغبا
ولقد رأى المستعمرون فرائساً منا وألفوا كلب صيدٍ سائباً
فتعهدوه وكان طوع بنانهم يبرون أنيابا له ومخالبا

ثم يلتفت وبفرشاة الشاعر السياسي الفنان يرسم صور العملاء و ((الخائنين الخادمين أجانبا))[٤٦]:

أعرفت مملكة يباح شهيدها للخائنين الخادمين أجانبا

مستأجرين يخربون ديارهم ويكافؤون على الخراب رواتبا
متنمرين ينصبون صدورهم مثل السباع ضراوة وتكالبا
حتى اذا وجدت وغًى وتضرمت نارٌ تلف اباعداً واقاربا
لزموا جحورهم وطار حليمهم ذُعراً وبُدلت الأسود أرانبا

وينعطف ليعمق مضمون الحكمة السياسية ويجعل من التصوير الفني أداة تتفاعل مع المفارقة التي تقوم على المفاجأة والومضة التي تثير الاستغراب لأن (الصورة الفنية التي تحول المجرد الى محسوس ينبض بالحياة تساعد على وضوحها ووصولها الى وجدان المخاطب) [٤٧] ومن مفارقات سلوك الطغاة إنهم يسارعون إلى مصائرهم السود وكأنهم ينالون في ما يصيرون إليه أمانيهم[٤٨]:

يتمهل الباغي عواقب بغيه وتراهم يستعجلون عواقبا
حتى كأن مصايراً محتومةً سوداً تنيلهم منىً ورغائباً

أما الصورة المضحكة التي اقترنت (بالمتنمرين) فقد أخرجها الجواهري من رصيد تجاربه مع هؤلاء الذين رثى لحالهم[٤٩]:

ارثي لحال مزخرفين حمائلاً في حين هم متكهمون مضاربا

القصيدة وان كانت في (هاشم الوتري) غير أن المساحة الأرحب منها ومن حكمها خصصت للطغاة تصويراً ووعيداً وسخرية وتحدياً وشتما[٥٠]:

أنبيك عن شر الطغام مفاجراً ومفاخراً ومساعياً ومكاسبا
الشاربين دم الشباب لأنه لو نال من دمهم لكان الشاربا
والحاقدين على البلاد لانها حقرتهم حقر السلبيب السالبا
انأ حتفهم ألج البيوت عليهمُ أُغري الوليد بشتمهم والحاجبا

ويبدو للجواهري ان شتم الطغاة وازدراءهم ليس كافياً.. لذلك راح يطأ هاماتهم بشسع النعل[٥١]:

أنا ذا إمامك ماثلاً متجبراً أطأ الطغاة بشسع نعلي عازبا

الجواهري حينما يتحدى السلطان بهذه اللغة يدرك بأن المزاج السياسي السائد في تلك الحقبة.. مزاج معادٍ للاستعمار وعملائه.. ولهذا جاءت هذه القصيدة المزلزلة في 1948.. وبعد عشر سنوات حدث ما حدث حيث أسقطت الملكية وأقيمت الجمهورية في 14 تموز 1958 وظلت مفردة الطغاة تلاحق ذيول قصائد معدودة للجواهري.. فقد جاءت في (جيش العراق) و(باسم الشعب) و(المستنصرية) ثم اختفت نهائياً ولم ترد إلا مرة واحدة في قصيدة (كلاي) الساخرة وجاءت مرموزاً لها بالقوة الهوجاء بينما صورة المستعمرين بقيت ترافق قوافي الجواهري في قصائد سياسية محددة (التأميم) (أيار) (رسول الشر) وغيرهن وليس في تلك القصائد من الحكم الشعرية ما يلفت الانتباه.

واذا كان التمرد والتحدي والمواجهة وعدم المهادنة والدم قد اصطبغت بها حكم الجواهري السياسية فان لها وجهاً آخر يفيض بالتفاؤل والأمل بالمستقبل الزاهر وبهذا الوجه الوادع خاطب الثائرين والبائسين غارساً الأمل في نفوسهم رغم ما يحيط بهم وبلادهم من خطوب داجية فقال لنفسه في مقصورته[٥٢]:

وأنت إذا الخطب ألقى الجران وحط بكلكلة وارتمى

ألحت بشعرك للبائسين– بداجي الخطوب– بريق المنى

وقد تأتي حكمه السياسية المتفائلة في ميمية له متوافقة مع قانون جدل الحياة وثنائياته المتضادة إذ لا شر مطلق ولا خير مطلق وكذلك الحزن والفرح واليأس والتفاؤل ومن ملامح شعره الحكمي الداعي للأمل قوله[٥٣]:

مهما ارتمت ذمم وهانت عفةٌ وهوت مقاييس وأوغل مجرمُ

وتدنت الأعراف حتى ما ارتضى وحشٌ وحتى ما تبنى ارقمُ

فلسوف تنزاح الخطوف وينجلي ... لون السماء وتستضاء الأنجمُ
ولسوف ينكشف المدى عن واحةٍ ... خضراء عن غدك المؤمل تبسمُ
وهناك يعرُف ما الحياة وما الردى ... وهناك يفهم ما السلام وما الدم
وهناك يخجل بالمروءة واهُبٌ ... شهم دعياً كاذباً يتشهمُ
وتناقض الأشياء سر وجودها ... وبخيرها وبشرها يتحكم
وكذا الحياة فليس يقدر شهدها ... عن خبرةٍ حتى يذاق العلقمُ
وجه عبوس للحياة وخلفه ... وجه طليق مؤنس يتبسمُ

لقد حشد الجواهري من هذه القصيدة أكثر من ثلاثين بيتاً من الحكمة وبهذا فقد تعد هذه الميمية من قصائد الحكمة في ديوان الجواهري وأسهمت في ارتقاء فنها وإنضاج معاني الحكمة السياسية فيها إلى أن اخذ العراق في أواخر عهد قاسم يمر بمفترق طرق إما إلى الفاشية وإما إلى الديمقراطية الحقيقية.. وبدلاً من اختيار الطريق الثاني وتقليص سطوة العسكر وتطويق الصراعات السياسية الداخلية هبت عاصفة الانقلاب الفاشي في 8/ شباط/ 1963 وطوحت بعبد الكريم قاسم وحكمه... وقد جرت الرياح بما لا تشتهي سفن الشعب العراقي وشاعره الجواهري... مما دعا إلى تشكيل لجان الدفاع عن الشعب التي ترأسها الجواهري نفسه وكان وقتها في براغ.

وقد صاغ الجواهري بعضا من حكمه مما شعر به من إحباط وخيبة أمل إزاء الأحداث إلى تلف الوضع السياسي في العراق وطبيعة الحكام الذين يتعاقبون على كرسي الحكم بالقول(٥٤):

إن فاتها وحش صليب فؤاده ... تعرض لها وحش منه اقسى
أُريد لها وجه يزيلُ قطوبها ... واصلبُ
فزيد بها وجه أغمُ مقطبُ

وقد أصبح ما تعانيه البلاد بمثابة قدر مسلط عليها لا تستطيع الإفلات من قبضته الراعبة جاءت ذلك في نونية (أم عوف) [٥٥] (2):

إنا أتيناك من ارض ملائكها بالعهر ترجم أو ترضي الشياطينا
إن لم يلح شبح للخوف يفزعنا فيها يلح شبح للذل يصمينا

أو قوله[٥٦]:

إذا تخلصت من هم أطحت به شبت هموم على أنقاضه جدد
ولا شكاة أيشكو السيف منجرداً لا يخلق السيف إلا وهو منجردُ
وكان (كافورٌ) فرداً نستقيم له واليوم شتى (كوافير) وننفردُ

وامتزجت الشكوى مع خيبة الأمل بما يطرأ من جديد محبط ومما أجج جمر الغضب في صدره والألم المبرح بين ضلوعه ان العراق بلد الخيرات والثروات يراه مملقاً فقيراً لا يقوى على مواجهة سراقه من الحاكمين[٥٧]:

لو يعلم الشجر الذي انبته ما حل فيك من الأذى ما أورقا
رجعت خلاءُ اكفهم بك ثرة ورجعتَ أنت أبا الخزائن مملقا

ولا ادري ماذا سيقول الجواهري الآن لو رأى ما حل بالعراق وثرواته فمن المؤكد ستنزف حروف قصائده دماً وسيعجب كيف للشمس أن تشرق والقمر يطل ولم يصابا بخسوف أو كسوف الماً على ما حل بالعراقيين.. ان الحكمة التي حملت تلك المفارقة تلتقي مع مفارقات الواقع السياسي والاجتماعي المتردي في العراق آنذاك وهذه واحدة من حكمه السياسية في هذا الصدد[٥٨]:

محالاً أرى تصحو من الغي قفرةً أراذلها تُكسى وتعرى الأماجد

أو قوله[٥٩]:

وقد حوسب الكابي بأوهى ذنوبه ولم يؤخذ الناهي بأم الكبائر

وقوله[٦٠]:

وكانوا كالزروع شكت محولاً فلما استمطرت مُطرت جرادا

وقوله[٦١]:

موتى الضمائر تَعطي الميت وتستعين على حيٍّ بسكينِ دمعتها

وقوله[٦٢]:

يلغ الدماء مع الوحوش نهاره ويعود في الليل التقي الراهبا

تلك لمع من حكمه السياسية ذات المنحى المفارقي وقد نهضت حكمة المفارقة الشعرية السياسية بوظائف متعددة منها الدعوة للسخرية بأقطاب السياسة من الحاكمين مع التحريض بالتمرد عليهم بوصفهم خارجين على قوانين الحياة والعدل والحق.. وقد تجمع هؤلاء الساسة ألفاظ مثل (أراذل) و(موتى الضمائر) (يلغ الدماء)..

فالجواهري هو شاعر الومضة المشعة التي سرعان ما تأتلق على رمش قافية حكمة شعرية غدقة برحيق الفكر وسلافة الفن المعتقة.

وقد احكم لجواهري التوازن بين متطلبات المضمون السياسي الذي يتسم بالجفاف او الصلادة وشروط رقة الفن الشعري وفضاءاته الرحبة [٦٣]. فإنّ مظالم البلاد وكثرة القيود وانقلاب المقاييس قد ولد في نفس الجواهري الميل إلى التمرد وتبني فلسفة العنف لحل المشكلات السياسية المستعصية في العراق... الجواهري هو اكبر شعراء التمرد في الوطن العربي كله ولم يكن التمرد حالة مرتبطة بسن الشباب وإنما كان ثوباً سياسياً يزهى به ويفخر حتى قال مخاطباً نفسه[٦٤]:

أبا الشعر قل ما يعجب الابن والأبا وهل لك إلا ان تقول فتعجبا
وهل لك عذرٌ والقوافي تُحيلها متى شئت قيثاراً ونايا مشببا
ويا من عانق الارض زهرةً وشوكاً فردته أديماً مخضباً
ويا من تبناه التمرد يافعاً وكهلاً وناغاه التمرد اشيبا

وقد استقصت دراسة حديثة معالم التمرد في شعره وحللت أسباب ذلك التمرد إلى الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي عاشه الشاعر في العراق [٦٥]وقد أعطى الرفض والتمرد وروح المعارضة لشعره نفحة ثورية وطنية ارتفعت به إلى ذرى القول الشعري السياسي الحكيم وربما ذهب الجواهري بعيداً في هذا المعنى إذ وصل العنف لديه ليقول[٦٦]:

وضيق الحبل وأشدد من خناقهمُ فربما كان في إرخائه ضررُ
تصور الأمر معكوساً وخذ مثلاً عما يجرونه لو أنهم نُصروا
والله لاقتيد (زيدٌ) باسم زائدة ولاصطلى (عامر) والمبتغى(عمرُ)

أو قوله متوعداً الحكام[٦٧]:

تباً لدولة عاجزين توهموا أن الحكومة بالسياط تُدامُ
وإذا تفجرت الصدور بغيضها حنقاً كما تتفجر الألغامُ

أو قوله[٦٨]:

كفاك والخطب فخراً ان تصارعُهُ إن المصارع أنى صار محترمُ
عود الرجال يكف الخطب يعجمُهُ كالمتدل الرطب يذكو حين يضطرمُ
يلقين ظلاً على وجهٍ فيلتطمُ ويزدحمن على وجهٍ ويبتسمُ

والجواهري شاعر كلمة وخطاب وصوت مدوي فإن لم يجد صدى لهذا الصوت المرنان الجاد يلجأ إلى السخرية كما جاء في (طرطرا) و(ما تشاؤون) الموجه للطغاة او (نامي جياع الشعب) و(اطبق دجى) اللتان كانتا مخصصتين للشعب الذي أحبه وضاق ذرعاً بخنوعه ومما خاطب الطغاة قوله[٦٩]:

ما تشاؤون فاصنعوا فرصة لا تضيعُ
فرصة أن تحكموا وتحطوا وترفعوا
كاذب من يخيفكم بعظات ويصدعُ
ويريكم (مصارعاً) لطغاةٍ تصرعوا
واذا كل روضةٍ أزهرت أمس بلقعُ

ولكن من الغريب أن الطغاة (الصغار منهم أو الكبار) لم يتعضوا بما آل إليه مصير أسلافهم وكأنهم خُلقوا طغاة وإن الآخرين عبيد لهم إلى ابد الآبدين!!

تلك هي حكم الجواهري السياسية وقد تنوعت ألوانها وأثوابها ومستوياتها واتجاهاتها تنوع التجارب والأحداث السياسية والاجتماعية في العراق والوطن العربي التي اتسمت بالاضطراب والتسارع ومـــا رافقها من ظلم وبطش بالحركة الوطنية وقادتها وقواها الفاعلة[٧٠] وإذا كان (ديدن الشعراء الكبار إرباك لحظة الواقع الرضية) [٧١] فإن الجواهري طوال قرن كامل من الشعر أربك الحياة السياسية في العراق وزلزلها فكان عدد من قصائده تسقط وزرات ومع ذلك يقول الجواهري (السياسة عالم تخبطنا فيه ولم نخلق له) فلو كان الجواهري قد خلق لهذا العالم ماذا عسى ان يكون حينذاك ويفعل!.

الحكمة الأدبية– الفنية

وإذا كانت الحكمة السياسية بكل ألوانها قد عكست ملامح الحياة السياسية وما اكتنفها من تطورات ومفارقات مؤلمة في الغالب. فإن الحياة الأدبية لم تكن بعيدة عما يجري في المجتمع العراقي.. ولهذا اتسمت بالحرارة والتنافس بين أعلامها الشعراء والكتاب، وقد شكل ظهور الجواهري في وائل القرن العشرين علامة مميزة لهذه الحياة وكلما ازداد الجواهري تألقاً وإشعاعا ازداد حساده وغرماؤه في الساحة الأدبية، ولما أدرك الجواهري تلك المنزلة – منزلته– وخطرها على أولئك الحاسدين تصدى لهم بقصائد طوت بين أضلاعها حكماً شعرية ذات ميسم أدبي تجلت فيها صورة الشاعر ومنزلته واعتداده بنفسه كقوله[٧٢]:

إن زين قوم بالقصيد فأنني باسمي يزان الشعر في تعريفهِ

او قوله[٧٣]:

كلما حدثت عن نجمٍ بدا حدثتني النفس إن ذاك انا

وقوله[٧٤]:

إن اكن اصغر المجيدين سنا فانا اكبر المجيدين نفسا

وعلى هذا المنوال تأتي حكمته الادبية الشخصية التي تفيض بالكبرياء وسموالنفس وانسانيتها كقوله[٧٥]:

تخير حب الناس والحب مذهباً وفرق فيهم روحه فتشعبا
و(ساقاهم) حلو البيان قصائداً من اللطفِ كاد أن تسيل فتشربا

أو قوله[٧٦]:

أنا عروة الوردي رمز مروءة العرب العريبِ
وزعت جسمي في الجسو م ومهجتي بين القلوب

ومن المروءة إلى الشجاعة والعنفوان تتكامل ملامح شخصية أبي فرات الذي صدح بالقول(٧٧):

النفع رخو لست صاحبهُ وأخوك هذا الشامخ الضرُّ
عدت الضباع عليك عاويةً ظناً بأنك مأكل جزر
فتذوقتك فقال قائلها إن الغضنفر لحمهُ مرٌّ
وخلصت حُرَّ الوجه ذا ألق ووجوههم مطموسة عُفرُ
وحقرتهم فقلوبهم وغرٌّ من ضغنةٍ وعيونهم خزرُ

وإذا كان الجاحظ قد عاب على الشاعر صالح بن عبد القدوس إن حكمه قد تستغرق أحيانا القصيدة كلها مما يسبب الملل والرتابة لذلك دعا إلى أن تكون الحكم متناثرة في طيات القصيدة وان تكون محدودة او قليلة كقلة الملح في الطعام.. إن هذا الحكم الجاحظي قد ينطبق على صالح بن عبد القدوس وربما على أبي العتاهية وغيرهما من شعراء الحكمة.. غير انه لا ينطبق على الجواهري وحكمه الشعرية ذلك لأن الجواهري كلما قرأت بيتاً حكيماً تمنيت أن يأتي بأخيه وهكذا حتى نهاية القصيدة، فحكم الجواهري كلما زادت عدداً ازدادت القصيدة نظارة وحسناً ووقاراً وارتادت أفقا معرفياً غنياً بالدلالات.

وهذا ما جر له بعض الخصومات التي ألقت بظلالها على حكمه الادبية ومن أشهر المخاصمات كانت خصومة المستعرب (ساطع الحصري) مع الجواهري.. تلك الخصومة التي أفرزت عدداً من الحكم الشعرية المؤنسة وإن كانت مؤلمة للجواهري منها قوله متظاهراً بالراحة(٧٨):

يريح جنبي إذ يُذكى جوانحهم جمرٌ من الضغينة الحمراء مشبوب
تسعون كلباً عوى خلفي وفوقهم ضوءٌ من القمر المنبوح مسكوب
وقبل ألفٍ عوى ألف فما انتقصت (أبا محسد) بالشتم الاعاريبُ

وقريب من ذلك قوله[٧٩]:

بماذا يخوفني الأرذلون ومَ تخاف صلال الفلا
ايسلب عنها نعيم الهجير ونفح الرمال وبذخ العرا

وقد علق الأستاذ جبرا على هذه الأبيات بقوله ((لا احسب في تأريخ الشعر العربي شعراً كهذا، يستمر في تحديه والتهابه وتجريحه طيلة حياة الشاعر الفكرية) [٨٠]التي امتدت قرابة قرن كامل

ومن هذا النمط الشعري جاء قوله[٨١]:

لله در ابٍ يراني شاخصاً للهاجرات، لحرٍّ وجهي ناصبا
أوصى الظلال الخافقات نسائماً الا تبرد من شذاتي لا هبا
ودعى ظلام الليل ان يختط لي بين النجوم اللامعات مضاربا
ونهى طيوف المغريات عرائسا عن أن يعود لها كراي مُلاعبا

تلك حكم صاغها الجواهري في خضم صراع مع خصومة وهي خلاصة لتجربة شخصية للشاعر.. وقد تصح لان تكون حكماً لمن يواجه الخصوم ذاتهم، وبهذا فالحكمة تنسلخ من محيطها وانتمائها الأول وتفارق صاحبها (المنتج لها) الذي انفلقت أول ما انفلقت بين يديه لتصبح ملكا لكل الناس وعلى اختلاف الأجيال والأوطان. واذا كانت شخصية الشاعر محوراً لتلك الحكم فان الشعر ومفهومه ومزاياه وجمالياته كان محوراً آخر من محاور الحكمة الأدبية الجواهرية تقوله[٨٢]:

وما الشعر إلا أن يزان به الهوى كما زينت عُطل النحور القلائدُ

أو قوله[٨٣]

عيب على الشعر ان تحصى بساحته **على الرجال مساعيهم إذا عظموا**

أو قوله[٨٤]:

ومن لي بشعر خالقٍ حُرقاً **تطأ الفؤاد وتلهب الحدقا**

وقوله[٨٥]:

وما الشعر إلا ما تقتق نوره عن النفس جاشت فاستجاشت بفيضها **عن الذهن مشبوباً عن الفكر حائرا عن القلب مرتج العواطف زاخرا**

وقوله[٨٦]:

شعر تحس النفس تعشقه **أو انها اجتذبت بالسحر جراه**

وقوله مخاطباً بغداد[٨٧]:

إليك يا بغداد عقداً **تناسق لؤلؤ منه ودرُّ**
بيان جاش فيك فكان عفواً **وحسن رق منك فرق شعرُ**
جرى بالوقف من قلبي لساني **وأظهرت القوافي ما أسر**

وقوله[٨٨]:

بأن الشعر تشرب من عيوني **قوافيه وتأكل من فؤادي**

وقوله[٨٩]:

وأريد شعراً ليس في ابياته **غير القلوب تبين للاحداق**

وقوله[٩٠]:

لم يبق من يستثير الشعر نخوته ومن يحركه لطف التراكيبِ
اغلى من الشعر عند القوم منزلةً نفخ البطون وتطريز الجلابيبِ

وقوله[٩١]:

واصدق الشعر ما هبت نسائمه من الضمير وما شبت لواهُبهَ

هذا رأي الجواهري في الشعر وسماته التي تجعل منه شعراً خالداً تتلقفه القلوب وتحتضنه المقل، شعراً ينير الوجدان ويخصب العقل ويمتع النفس ويحلق بها بأجنحة الخيال الرحب. والشعر هو صنيع الشعراء الذين كان لهم نصيب من حكم الجواهري.. فقد ميزهم الجواهري عن عامة الناس ورأى ان لهم خصالاً وعالماً يختلف عن العالم المرئي[٩٢]:

غريب عالم الشعراء تقسو ظروفهم وألسنتهم عرقُ
شذوذ الناس مختلف ولكن شذوذ الشاعر الفنان خَلقُ

أو قوله[٩٣]:

للشاعرين قلوب في تململها هي البراكين إذا تهتاجها الحممُ

وقد خصص الجواهري لذي القامات العالية من الشعراء وأقربهم الى نفسه حكماً شعرية ناطقة بعبقرياتهم الفذة كقوله مخاطباً المعري[٩٤]:

فكل نجم تمنى في قرارته لو انه بشعاع منك قد جُذبا

أو قوله وهو يخاطب صنوه وابن كوفته الحمراء (المتنبي) [٩٥]:

فيا ابن الرافدين ونعم فخرٌ بأن فتى بني الدنيا فتانا

أراب الجن انسٌ عبقري بوادي (عبقر) افترش الجنانا
تطوف الحور زدن بما تغني وهنَّ الفاتنات به افتتانا

وله في المتنبي بمناسبة ميلاده قوله[٩٦]:

ولد الألمعي فالنجم واجم باهت من سطوع هذا المزاحم

ومن حكم الجواهري الادبية تلك التي انفتحت على الصور الفنية التي كانت المرأة والمدينة وجوانب من معالم الحياة محاور لها..

ففي قصيدة (آهات) صور الجواهري مفاتن صديقته البلغارية (اكليك) في بضعة أبيات متكاملة وكأنها بيت واحد في قوله[٩٧]:

أنتِ (أكليك) يا طفيفاً من اللحم على العظم كاد ان يشفا
ألف ((الفن)) صورة تناهت في الحسن لطفاً وعنفا
دفع الصدر دفعة اعجب النهدين فيه طيب المقام فرفا
والشهيان لملما فأستدارا فأسثارا فاستضريا فاستخفا
وثنى طبةً فضمر كشحاً ورأى فسحة فدور خلفا

هذه حمكة غزلية ووجدانية يمكن ان تقال في اية فاتنة من فاتنات الدنيا وفي كل زمان ومكان... وهذا ينطبق على ما قاله الجواهري في (براغ) [٩٨]:

قف على (براها) وجب أرباضها وسل المصطاف والمتربعا
أ على الحسن ازدهاء وقعت ام عليها الحسن زهواً وقعا
وسل الخلاق هل في وسعه فوق ما أبدعه أن يبدعا

وفي قصيدة أخرى كان لـ (براغ) وصف قد حمل رأى الشاعر بالجمال من خلال ومضة شعر لا تعدو ألفاظها على ثلاث عندما قال[٩٩]:

تناهت في الجمال فأمسيات وضيئات وإصباح تغامُ
ولاءمت الفصول على انسجام بهنّ وآيه الحسن انسجام
وخضر جنائن متعرشات حبالى بالثمار لها وحام

لعل رفاهة العيش في براغ والدعة التي افتقدها في بلاده وما أغدق عليه أهلها أهل (براغ) من حنو وكرم ضيافة قد دفع الجواهري لان يقول فيها ما لم يقله في أية مدينة في العالم وقد تأتي (دمشق) بعدها لان دمشق في نظر الجواهري مدينة (يحتضن الكريم بها الكرام) [١٠٠] أما بغداد وغيرها من المدن التي وصفها وتغزل بها لم تصل الى الحد الذي وصل في هيامه (ببراغ) وحكمتها الأدبية الشفيفة.

الحكمـــة النفسية– العاطفيـــة

لقد عاش الجواهري أوضاعا نفسية متباينة فرضتها التقلبات السياسية وطبيعة الحياة الاجتماعية بتقاليدها المعروفة والتي ضاق الشاعر بها ذرعاً ومن تجليات ذلك الضيق كان القلق والغضب والاضطراب إلى حد التناقض في المواقف والسلوك الاجتماعي العام وقد يكون للضنك والتشرد والاضطهاد والنفي فضلاً عما حل بعائلته من نوائب الدهر قد ألقت بظلالها الحزينة على قوافيه. وقد اخذ الحزن لدى الجواهري مسارين مسار الحزن الذاتي الذي تتوشح به نفس الشاعر عند فقدان عزيز عليه صديق او قريب ومسار الحزن الوطني الذي يختلف عن الحزن (العادي) المألوف والذي من مظاهره البكاء والنشيج والعويل ولطم الصدور وشق الجيوب.. وبهذا فالحزن الوطني يتميز عن ذلك بأنه يمثل حالة من الوعي الثوري والسياسي كالذي نقرأه في

مراثي الشهداء والسياسين والأدباء وقد يندرج ضمن هذا اللون من الحزن ما جاءت به قصائد (آمنت بالحسين) و(أخي جعفر) و(صبحي ياسين) وغيرهن. ومن حكمه النفسية المغلفة بالحزن الذاتي في رثاء شيخ الشريعة قوله[١٠١]:

وهل ينفع المفجوع حبس دموعه وباطن ما يخفيه يبديه ظاهره

أو قوله[١٠٢] :

أغاض دموعي إنهم كرائم وإن النفوس الآبيات شحاح

وقوله[١٠٣]:

عين تسيل لفقد سوادها وحشى تذوب اسى على سوادئهِ

وقوله مخاطباً (أمونة) [١٠٤]:

قد يقتل الحزن من أحبابه بعدوا عنه فكيف بمن أحبابه فقدوا

والحزن هو عاطفة فطرية يتساوى به البشر الأسوياء ويبقى البكاء والكمد والتصبر ابرز مظاهره المعروفة، غير أن الجواهري في حكمه النفسية والعاطفية دلنا على لون جديد من الحزن حزن بلا دموع ولا بكاء وإنما بحبس النفس على (نهج من السنن) وربما كان خطابه للإمام الحسين في (العينية) قد تضمن إرهاصات هذا الحزن أو ومضته الأولى في قول[١٠٥]:

وحزناً عليك بحبس النفوس على نهجكَ النير المهيعِ

وضمن هذه الرؤية الجديدة للحزن كانت أحزان الجواهري في أثناء قصائد الشهداء والسياسيين الذين رثاهم وقد اتخذ ذلك الحزن بُعداً سياسياً وطنياً ثورياً تجلى

في الدعوة للتمرد والثورة والثأر لدماء الشهداء، وتتدفق عاطفة الحزن المثقف في عشرات أبيات الحكمة كما في قوله لتأبين حنا الفاخوري[١٠٦]:

حببتك باسماً والهم يمشي — على قسمات وجهك باتزان
تغالبُه وتغلبُهُ إباءً — وتخفي السرُّ لولا المقلتان
تفيض طلاقةً وتذوب رفقاً — ووحدك أنت تدري ما تعاني
وما أغلى الرجولة في شفاه — مغلفة على ألم مصان

وفي معنى جديد للحزن جاء قوله في (بائية نجاح العطار) [١٠٧]:

أزادُ إذا طربتُ إليك حزناً — وبعض الحزن من شيم الطروب

وقد يأتي الشوق وحرقة الفراق عن العراق وتباريجه افقاً قريباً من الحزن لما يولد من آلام ويثير من أشجان. ولعل حب الوطن يقف وراء مشاعر الشوق المؤجج الذي عرف به الجواهري رغم ما لاقى في البلاد[١٠٨]:

أحب حصاها وهو جمر مؤجج — وأهوى ثراها وهو شوك وأدغالُ
من شاقه يرد النعيم بفارسٍ — فاني إلى حرِّ العراقين ميالُ

أو قوله[١٠٩]:

وطني الغضيض إهابُهُ — أصبو إليه وأهابُهَ
خضر الحقول طعامُهُ — والرافدان شرابَه
حب القلوب رماله — كحل العيون ترابُهَ

أو قوله[١١٠]:

فيا وطناً جفوه وهو راضٍ — وعقته بنوه وهو برُّ

نصيبي منك دمع ليس يرقى على البلوى وجنب لايقرُ
رضىً بالحالتين ضنىً وبؤسٌ فضر من بلادي لا يضرُ

أو قوله[١١١]:

يا دجلة الخير يا ام البساتين حييت سفحك عن بعدٍ فحييني
يا دجلة الخير يا نبعاً أفارقه على الكراهة بين الحين والحينِ
إني وردت عيون الماء صافيةً نبعاً فنبعاً فما كانت لترويني

وقوله[١١٢]:

سلام على هضبات العراق وشطيه والجرف والمنحنى
على النخل ذي السعفات الطوال على سيد الشجر المقتنى
سلام على بلد صنتُهُ وإياي من جفوة اوقلى
كلانا يكابد حر الفراق على كبدينا ولذع النوى

وقوله في (عراقه) [١١٣]:

وهو إذ تستوي الدنيا شذى وهو اذ يقبح كل الكون حسنُ
وهو حتى إن تجافى عنك خدن وهو حتى إن تخلى عنك حصنٌ

وقوله في الاشتياق إليه[١١٤]:

سهرت وطال شوقي للعراق وهل يدنو بعيدٌ باشتياقِ

وقوله في التحمل[١١٥]:

وما برح العراق محكَ صبرٍ يطاق بأرضه غير المطاقِ
كأن غرائب الدنيا تنادت على وعدٍ لديه بالتلاقي

ومثلما نبض قلبه وتسارع في شرايين قصائد الشوق للعراق كان مشواقاً لأصدقائه الخلص كما في قصيدة (ماذا اغني) المرسلة الى السيد جلال الطالباني[١١٦]:

شوقاً جلال كشوق العين للوسن وشوق ناءٍ غريب الدار للوطن
شوقا إليك وأنت النور من بصري وانت مني محل الروح في البدن

وهذه حكمته في مطلع قصيدته شوق الى الدكتور محمد مجيد السعيد[١١٧]:

شوقاً إليك أبا غدير شوق الأسير إلى البشير
شوق الغريب إلى الحمى شوق الظميء إلى الغدير
شوقاً تفيض به الضلوع فيستفيض على الضمير

وقوله في قصيدة (أم الربيعين) [١١٨]:

شوقا امنت جناني ان يزل به وقد يزل الفتى خوفاً من الزللِ
شوقاً تعثر في زحمة الخجل ان لا اطيق له وصفاً على عجلِ

فهذا هو عالم الجواهري النفسي مأزوم متناقض أرق وقلق وشوق وغضب وحب وثأر وتسامح وفرح وندم وكل ما يعتمر به قلب عاش صاحبه في خضم الصراع السياسي وشاهد تحولاته الدامية في العراق،...

وقد تخللت مسيرة الجواهري التي امتدت قرابة قرن من الزمن محطات تأمل و (استراحة) ومراجعة لنفس تهتف به أحيانا (أرح ركابك).. ومن نتائج تلك المراجعة كان التساؤل الموجع[١١٩]:

ماذا صنعت بنفسي احقتُ بها ما لم يحقه بـ (روما) عسف
ألزمتها الجدَّ حيث الناس هازلةٌ نيرونِ
ورحتُ أضمي وأسقي من دمي والهزل في موقف بالجدّ مقرونِ

زمرا راحت تسقي أخا لؤم وتظميني

وفي ظل الشعور بالندم على مواقف له إزاء بعض الناس والشخصيات تنامى الإحساس لدى الشاعر بالحنق من الجحود الذي قابله به الجاحدون ممن ساقاهم الود والأشواق والقبل وهذا ما فاض به قوله(١٢٠):

ستين عاماً أساقيهم مشعشعةً من خالص الود والأشواق والقبلِ
ما ساءهم قرحة تشوى به كبدي وما يسرهم كحل على المقلِ
مروا لئاماً على الظامي وغلتهِ وعندهم كل ما يشفى من الغلل
وغادروه بموماة كأنهم ليسوا ذوي ناقةٍ منه ولا جملِ

ومع كل ذلك العسف والاين والعثر والجحود والنفي ظل الجواهري ذا نفس عالية تتسامى وليس لها غير الكواكب مربضاً والسماء مضرباً وهذا قد جسدته حكمه عن نفسه(١٢١):

أقول لنفس اذ ضمها وأترابها محفل يزدهى
تسامى فانك خير النفوس إذا قيس كلٌ على ما انطوى
تسامى فان جناحيك لا يقران إلا على مرتقى
شهدت بأنك مذخورةً لأبعد ما في المدى من مدى
وأنك سوف تدو العصور بما تتركين بها من صدى

ولعل تلك كانت نبوءة جواهرية تتوسد لباب تلك الحكم استطاعت هذه الدراسة أن تكشف عنها حينما استقصت حكم الجواهري السياسية والأدبية والنفسية ووقفت عند حقيقة غابت عن أذهان الدارسين هي ان الجواهري هو شاعر الحكمة الاول في العصر الحديث وانه يقف الى جوار كبار الشعراء الحكماء على مر تأريخ الكلمة

العربية الشعرية الحرة وعليه فأن تقديم الجواهري حكيماً يعد خطوة على طريق احترام عظماء الأمة وعباقرتها الأفذاذ ومنهم شاعر العرب الأكبر الجواهري.

الخـاتمـة

لقد أتاحت لي هذه الدراسة أن انقل النظر بين مباهج الحكمة الجواهرية وان أقف عند نفائسها مستشرفاً مضامينها السياسية والأدبية والنفسية مستلهما إشعاعات نضارتها، وقد خرجت بالنتائج الآتية:

١. كان الطابع العام لحكم الجواهري سياسياً، وقد شغلت الحكمة السياسية الكم الأكبر من مخزون الحكمة لديه.
٢. استبعد الجواهري قضية الموت ولم يقف عندها فقد كانت حكمه مرتبطة بالحياة والتأمل فيها والدعوة لان تكون أفضل وأجمل.
٣. حكم الجواهري كانت واضحة مأنوسة لم تتلفع برداء الفلسفة الغامض، او جلباب الدين بل كانت كلها مستوحاة من تجاربه الشخصية وطبيعة الحياة ومشكلاتها في الواقع اذ ليس بين حكمه ما يشير إلى أن الجواهري أخذ بمذهب الزهد وبهذا قد خالف شعراء العربية حيث يتوجون حياتهم الشعرية بقصائد زهدية بما في ذلك أبو نؤاس.
٤. لم يتكأ الجواهري على التراث الشعري العربي القديم في صياغة حكمه بل كان جلها من بنات أفكاره وخلاصة فنية بارعة لتجاربه الشخصية.
٥. حكم الجواهري السياسية أكدت الوعي الوطني التحرري والتقدمي لديه، وبهذا قدمته على أترابه في هذا المجال. أما حكمه الأدبية فقد انطوت على اعتداده بالنفس ومفهومه للشعر وإعجابه بالشعراء وفي مقدمتهم: المتنبي، وجاءت حكمه النفسية لتعبر بصدق عما اكتنف حياته من تأزم وإحباط وألم وحزن ومساحة ضيقة للفرح والتفاؤل.

٦. ومما وقفت عليه هذه الدراسة أن الجواهري كان منتجاً للحكمة في النصف الأول من حياته، وقد بدأ الانحسار على صياغتها في الربع الأخير من تلك الحياة التي امتدت قرناً كاملاً، وهذا مفارقة اختص بها الجواهري دون غيره إذ من المعروف أن الشعراء يلجأون لصياغة حكمهم حينما يبلغون من العمر ما يؤهلهم للتعبير عن تجارب مرت بهم، وهذا لم ينطبق على الجواهري.

٧. وقد عللت هذه الدراسة انحسار ألق الحكمة لدى الجواهري في الربع الأخير من حياته هو أن الجواهري شاعر سياسي من الطراز الأول، وقد يجد في الصراعات السياسية و (التهاب الحمى) الظرف الأنسب للبوح أو التعبير عن خلجات النفس ورؤاها فهو القائل:

ثبت على وقد الوغى وجحيمه قدماً إذا برد الثرى تتألمُ

والجواهري قد ألهب حماس الشعب وفجر غضبه بقصائد نابضة بالتمرد والتقحم وان كانت ترتدي ثياب الحكمة الوقور، كقوله:

ولست بالمعطي التمرد حقهُ إذا كنت تخشى أن تجوع أو تعرى

8- خرجت هذه الدراسة بنتيجة نقدية مفادها بأن الجواهري قد تفوق على جميع شعراء الحكمة العرب قدماء ومعاصرين للكم الهائل والمستوى الفني المتطور لحكمه التي اعتمدت هذه الدراسة على نماذج محددة لتأكيد هذه الحقيقة.

هوامش البحث:

([1]) ينظر: بحثنا (العراق في شعر الجواهري–دراسات نجفية- السنة الثانية العدد الثالث 2004
([2])تنظر مذكراتي- الجواهري 1/50- 52 وينظر أيضاً الجواهري شاعر العربية، الدجيلي: 20.
([3])تنظر نفسه: 1/52.
([4])دراسات نجفية (العراق في شعر الجواهري) للباحث: 82
([5])العين: 3/ 66-67.
([6])الجمهرة: 1/ 661-662
([7])ينظر القاموس المقارن لالفاظ القرآن، د. خالد اسماعيل علي: 130.
([8])) ينظر المعجم المفهرس للقرآن: 29.

(٩)ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي ، مج2 ج2: 14
(١٠)ديوانه: 3/ 251.
(١١)ينظر مجمع الاضداد، دراسة في حياة الجواهري وشعره، د. سليمان جبران: 184، والنار والجوهر، جبرا ابراهيم جبرا:24.
(١٢)ديوانه 1/84.
(١٣)ديوانه 1/290.
(١٤) ديوانه : 3/132
(١٥)نفسه 3/ 132
(١٦)نفسه: 3/ 132
(١٧)نفسه : 3/132
(١٨)ينظر مجمع الاضداد: 143.
(١٩)الديوان: 3/10.
(٢٠)تنظر دراسته (الشاعر والحاكم والمدينة)، الجوهر والنار:7-36. 316.
(٢١)ديوانه: 3/ 295، وينظر الجواهري ديوان العصر، حسن العلوي: 316.
(٢٢)ديوانه: 3/ 295.
(٢٣)نفسه: 3/ 295.
(٢٤)نفسه: 3/ 313.
(٢٥)نفسه: 3/ 313.
(٢٦)ينظر مجمع الاضداد: 146.
(٢٧)ديوانه: 3/ 155.
(٢٨)نفسه: 3/ 155- 156.
(٢٩)ديوانه: 173.
(٣٠)الحكمة من شعر المتنبي، د. حسن على فرعاوي: 25.
(٣١)نفسه:26
(٣٢)ديوانه: 3/ 339.
(٣٣)ديوانه: 4/ 291.
(٣٤)ديوانه: 3/ 184.
(٣٥)نفسه: 4/ 375.
(٣٦)ديوانه: 4/ 380
(٣٧)نفسه: 4/ 381-382.
(٣٨)نفسه: 4/ 384.
(٣٩)نفسه4/384
(٤٠)ديوانه: 3/ 100.
(٤١)ديوانه: 5/ 252.
(٤٢)ديوانه:3/ 249.
(٤٣)نفسه: 3/ 249.
(٤٤)نفسه:3/ 249.
(٤٥)ديوانه: 3/ 249.
(٤٦)ديوانه: 3/ 249.

(٤٧)الحكمة في الشعر الجاهلي: 260.
(٤٨)ديوانه: 3/ 251.
(٤٩)نفسه: 3/ 250.
(٥٠)نفسه: 3/ 250.
(٥١)ديوانه: 3/ 250.
(٥٢)ينظر: الجواهري والطغاة، د. سعيد عدنان: 20.
(٥٣)ديوانه : 4/ 292- 295
(٥٤)ديوانه: 2/ 191
(٥٥)نفسه:4/ 18
(٥٦)نفسه:4/ 294.
(٥٧)ديوانه: 1/ 193.
(٥٨)ديوانه: 1/ 152.
(٥٩)نفسه: 2/ 247.
(٦٠)ديوانه: 3/ 25.
(٦١)نفسه: 4/ 210.
(٦٢)ديوانه:3/ 251.
(٦٣)ينظر الحداثة في الشعر العربي، ماهية الشعر: 164.
(٦٤)ديوانه: 5/ 235.
(٦٥).ينظر التمرد الاجتماعي والفني في شعر الجواهري: 42- 61.
(٦٦)ديوانه: 2/ 290.
(٦٧).ديوانه: 3/ 164.
(٦٨)نفسه: 4/ 317.
(٦٩)نفسه: 3/ 357- 358.
(٧٠)ينظر الجواهري والنار، جبرا: 36. وينظر ايضاً تطور الشعر العراقي الحديث د. علوان: 322.
(٧١)مسيرة قرن، عواد ناصر: 79- 80.
(٧٢)ديوانه: 1/ 194.
(٧٣)ديوانه: 1/ 87.
(٧٤)ديوانه: 1/ 181.
(٧٥)ديوانه: 5/ 237.
(٧٦)ديوانه: 4/ 176.
(٧٧)ديوانه: 3/ 189.
(٧٨)ديوانه: 3/ 282.
(٧٩)نفسه: 3/ 111.
(٨٠)الجوهر والنار: 22.
(٨١)ديوانه: 3/ 251.
(٨٢)ديوانه: 1/ 149.
(٨٣)نفسه: 2/ 16.
(٨٤)) نفسه: 3/ 184.

(٨٥)ديوانه: 2/ 113.
(٨٦)نفسه: 2/ 130.
(٨٧)نفسه: 2/ 314.
(٨٨)نفسه: 1/ 328.
(٨٩)نفسه: 1/ 252.
(٩٠)نفسه: 2/ 197.
(٩١)نفسه: 4/ 283.
(٩٢)ديوانه 2/ 62.
(٩٣)نفسه:32/2
(٩٤)نفسه:9/3
(٩٥)نفسه: 5/ 224.
(٩٦)نفسه: 2/ 259.
(٩٧)ديوانه 4/ 109: 4/ 124.
(٩٨)ديوانه: 4/ 124.
(٩٩)ديوانه: 5/272
(١٠٠)نفسه:5/271
(١٠١)ديوانه: 1/ 14.
(١٠٢)ديوانه: 1/ 97.
(١٠٣)ديوانه 1/ 199.
(١٠٤)نفسه: 1/ 327.
(١٠٥)ديوانه: 3/ 129.
(١٠٦)ديوانه: 1/ 327.
(١٠٧)ديوانه: 5/ 235.
(١٠٨)نفسه: 1/ 209.
(١٠٩)نفسه: 1/ 349.
(١١٠)ديوانه: 1/ 314.
(١١١)نفسه : 4/ 207.
(١١٢)نفسه: 3/ 121.
(١١٣)نفسه: 4/ 119.
(١١٤)نفسه: 4/ 349.
(١١٥)نفسه:4/352
(١١٦)نفسه: 5/ 283.
(١١٧)مخطوطة 28/ 2/ 1990.
(١١٨)ديوانه: 5/ 266.
(١١٩) نفسه :4/ 211
(١٢٠)ديوانه: 5/ 293.
(١٢١)ديوانه: 3/ 161.

مصـــادر الدراســـة

١. البيان والتبيين، الجاحظ 1-4، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، ط4.
٢. تطور الشعر العربي الحديث في العراق، د. علي عباس علوان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
٣. الجمهرة لابن دريد.
٤. الجواهري ديوان العصر، حسن العلوي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط 1986.
٥. الجواهري شاعر العربية، عبد الكريم الدجيلي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، 1972.
٦. الجواهري مسيرة قرن، د. خيال محمد مهدي الجواهري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2004.
٧. الحداثة في الشعر العربي، ادونيس نموذجا، سعيد بن زرقة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2004.
٨. الحكمة في شعر المتنبي، د. على حسن علي قرعاوي، ط 1دار عمار، الأردن، 1406هـ 1986.
٩. الحكمة في الشعر الجاهلي، عبد الوهاب خلير بيك، دار الحارث، ط 2، دمشق، 2005.
١٠. ديوان الجواهري 1-5، الناشر بيسان للتوزيع والإعلام، بيروت، ط 2000م.
١١. عراق المستقبل، جيف سيمونز، ترجمة سعيد العظم، دار الساقي، بيروت، ط 1، 2004.
١٢. القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم، د. خالد إسماعيل علي، بيروت.
١٣. كتاب العين، الفراهيدي، تحقيق د. المخزومي ود. السامرائي، دار الشؤون الثقافية، بغداد.

١٤. مجمع الأضداد، دراسة في سيرة الجواهري وشعره، د. سليمان جبران، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط 2003.
١٥. مذكراتي 1- 2، محمد مهدي الجواهري، منشورات دار المجتبى للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدسة، إيران، ط1، 2003.
١٦. المعجم المفهرس للقرآن الكريم، محمد عبد الباقي، طهران.
١٧. النار والجوهر دراسات في الشعر، جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط3، 1982.

المجـــلات

- مجلة بانيقيا، السنة الأولى، العدد الثاني، سنة2005، النجف الأشرف.
- مجلة دراسات نجفية، السنة الثانية، العدد الثالث، السنة 2004.

الرسائل الجامعية

- التمرد الاجتماعي والفني في شعر الجواهري، جلال عبد الله خلف، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة ديالى (1426هـ- 2005م).

Abstract

AL-Jawahry is considered as one of the greatest poets of the 20th century, he left a great poetic heritage through which he dealt with different human experiences, hence he had poems in description, lamentation, , praise, love poetry and satire there is a distinguished feature with a special Literary characteristic which is the (poetic Wisdom), this study dealt with this subject depending on three topics, 1– the political wisdom 2- the Literary and artistic Wisdom 3- psychical wisdom.

through this study of AL-Jawahry's wisdom aspects, the researcher finds that AL-Jawahry preceded his contemporary poets in forming the wisdom phrase ith its political rich meaning wiich expressed AL-Jawahry national awareness, where Iraq and its issues

were the center of AL-Jawahry's political wisdom as well as the people's life and problems.

Literature and its share in the texture of the Jawahry poetic wisdom , were not far from his psychological realm. One of the most important results of this study is that AL-Jawahry is one of greatest poet of wisdom and may considered as AL- Mutanaby, AL-Mae'ry, all shareet AL-Radhy and the other great poets.